مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02 بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التغلغل البريطاني في الصين
حروب الافيون انموذجاً (1939- 1860)

أ.م.د كفاح جمعة وجر الساعدي

العراق / الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم التاريخ

dr.kefahrashid@gmail.com

الملخص

سعت بريطانيا للتغلغل في الصين بهدف التجارة لاسيما بعد قيام الثورة الصناعية في بريطانيا وحاجتها للاسواق الكبيرة والمواد الأولية، لكنها اصطدمت بسياسة العزلة التي اتبعتها الصين ونظام الاكتفاء الذاتي فلم تكن الصين بحاجة الى استيراد البضائع الأجنبية، فضلا عن قصر التعامل مع الاجانب على ميناء كانتون فقط مما عرض التجارة البريطانية الى خسائر فادحة، فحاولت معالجة الامر عن طريق البعثات الدبلوماسية لكنها فشلت بسبب تشدد الحكومة الصينية فلجات الى وسيلة اخرى لتعويض الخسارة عن طريق تصدير الافيون الى الصين الذي جلب لها أرباح طائلة، لكنه اضر بالصين من جميع النواحي فحاولت الحكومة منعه بالقوة مما ادى الى توتر الوضع بين الطرفين اذ قررت بريطانيا غزو الصين وكسر عزلتها عن طريق العمل العسكري فاتخذت من اعتراض الصين على تجارة الافيون ذريعة لاعلان الحرب التي انتهت بهزيمة الصين وتوقيعها على معاهدات مذلة جعلت الصين مستمعرة للدول الاجنبية .

الكلمات المفتاحية : التغلغل، البريطاني، الصين

British Penetration in China
Opium wars as a model
(1939-1860)

Assit Proff D. Kefah Jumaa Wiger Al-Saadi

Iraq / Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of History

dr.kefahrashid@gmail.com

Abstract:

Britain Sought to Penetrate China with the aim of trade, especially after the industrial revolution in Britain and its need for large markets and raw materials, but it collided with the policy of isolation followed by China and the system of self-sufficiency, so China did not need to import foreign goods, as well as restricting dealing with foreigners to the port of Canton only. Exposing British trade to heavy losses, so it tried to address the matter through diplomatic missions, but it failed due to the hardening of the Chinese government, so resorted to another way to

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

compensate for the loss by exporting opium to China, which brought it huge profits, but it hurt China in all respects, so the government tried to prevent it by force, which led To the tense situation between the two sides, as Britain decided to invade China and break its isolation through military action, so it used China's objection to the opium trade as an excuse to declare war that ended in the defeat of China and its signing of humiliating treaties that made China a listener of foreign countries.

Keywords: Bangs, british, china

تمهيد : الاقتحام الاوربي للصين

تقع الصين في الجزء الشمالي من نصف الكرة الشرقي وتحتل القسم الشرقي من قارة اسيا، تبلغ مساحة الصين حوالي 9،6 مليون كيلو متر مربع ويذلك فهي تاتي بالمرتبة الثالثة في المساحة بعد الاتحاد السوفيتي وكندا، ويصل طول حدودها الى 5500كم من الشمال الى الجنوب، وعرضها حوالي 5200كم من الشرق الى الغرب [1] .

كان نظام الحكم في الصين يعتبر الامبراطور هو ابن السماء وممثل الكائن الاعلى على الارض ولم تكن هناك ادارة او وزارة للشؤون الخارجية في الصين اذ لم تعترف بوجود دولة اخرى مساوية لها في العالم وهكذا عاشت الصين لمراحل طويلة من تاريخها بمعزل عن العالم فكانت ترفض اي اتصال مباشر بالعالم الخارجي انطلاقاً من نظرية (امبراطورية الوسط) فكان الصينيون يعتقدون ان العالم ماهو الا مربع والصين دائرة في وسط هذا المربع، لذا كانت حكومة بكين ترفض ارسال سفارات الى الخارج مادامت تعتبر الدول الاخرى تابعة لها والتي يجب عليها ان ترسل وفودها الى بكين لاداء الجزية للامبراطور، وتجسدت تلك النظرة للاجانب من خلال مراسيم الكوتو التي يخضع لها السفراء الاجانب عند مقابلتهم للامبراطور فكانوا يجبرون على السجود في حضرته ثلاث مرات [2].

ارتبطت معرفة الاوربيين بالصين بالعلاقات التجارية اذ كانت للإمبراطورية الرومانية علاقات مع الصين على طريق الحرير المار عبر أواسط اسيا وأوربا الشرقية ومن ثم إلى الخليج العربي أو البحر الأحمر فالبحر المتوسط وأوربا، فضلاً عن المبشرين المسيحيين الذين وفدوا إلى الصين منذ القرن السابع للميلاد، وكذلك الرحالة أمثال الايطالي ماركو بولو الذي عمل في البلاط الامبراطوري الصيني عام 1275 واقام فيها اكثر من 17 عاماً عمل خلالها مستشاراً وشغل مناصب حكومية عدة وبعد عودته الى اوروبا دوّن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كل خبرته ومعرفته باحوال الصين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في رحلته المشهورة التي شكلت حافزاً للاوربيين للتوجه الى الصين [3]

وبعد اكتشاف راس الرجاء الصالح 1498 اصبح البرتغاليون سادة البحار الشرقية وسعوا للوصول الى الصين والمتاجرة معها، وفي عام 1517 وصلت اول بعثة رسمية برتغالية الى الصين برئاسة توماس بيريز (Thomas Perez) الذي حمل رسالة من نائب الملك البرتغالي في الهند الى امبراطور الصين، لكنه لم يوفق في هذه البعثة ولم يحظ بمقابلة الامبراطور بسبب المعلومات التي وصلت من قبل حكام الملايو التابعين لحكومة الصين والتي افادت بان للبرتغاليين نوايا توسعية في الصين فاصدر الامبراطور امراً بارجاعهم الى الساحل وسجن بيريز وظل هناك حتى وفاته عام 1523. لم يمنع هذا الامر المساعي البرتغالية للوصول الى الصين ففي عام 1557تمكنوا من الحصول على حق النزول والاستئجار في جزيرة مكاو [4] .

في الوقت ذاته سعت اسبانيا للوصول الى الصين والمتاجرة مع حكومتها بعد استقرارها في الفلبين، لكن حظها لم يكن اوفر من البرتغال فلم ينجحوا في اقامة علاقات دبلوماسية وتم وضع قيود على نشاطهم التجاري في كانتون. اما هولندا فسعت هي الاخرى للوصول الى الصين لاسيما بعد تاسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1602 وكانت افضل من غيرها اذا قدم الهولنديون مساعدة للمانشو(1644- 1911) في صراعهم مع اسرة المينغ (1368-1644) ، وفي عام 1656وصلت الى بكين سفارة هولندية بهدف تقديم الجزية وقام اعضاؤها باداء مراسيم الكوتو فسمح لهم بحق المجيء الى بكين كل ثمان سنوات لاداء الجزية [5]

أمَّا التوسع الفرنسي الذي اتخذ بوجه عام شكل إرسال المبشرين الفرنسيين إلى الهند الصينية فقد تلاشى بسبب تعصب هؤلاء المبشرين، ولما كان هناك تنافس بين الانكليز والفرنسيين للسيطرة على الهند، ونتيجة لخسارة فرنسا في صراعها مع بريطانيا على الهند، الأمر الذي جعلها تولي اهتمامها نحو الهند الصينية [6] .

سعت بريطانيا الى اقامة علاقات تجارية مع الصين منذ القرن السابع عشر، لاسيما بعد تأسيس شركة الهند الشرقية عام 1600، وحاولت الاستعانة بالهولنديين من خلال الاتفاق الذي وقع بينهما عام 1619 لكن المنافسة بينهما ادت الى انهاء هذا الاتفاق، فسعوا للتعاون مع البرتغاليين وفي عام 1637تم تجهيز حملة بقيادة القبطان جيمس ودل (James Woodl) الذي حمل خطاب توصية

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

من نائب الملك البرتغالي إلى حاكم مكاو بهدف الإتجار مع الصين، لكن المحاولة باءت بالفشل، ولم ينجحوا في الحصول على حق انشاء مصنع في كانتون حتى عام 1685 ثم فتحت كذلك مركزا تجارياً في ننجيو [7] .

اما روسيا فانها توجهت للصين عن طريق البر خلافا للدول الاخرى وسعت الى اقامة علاقات دبلوماسية تجارية معها وفي عام 1689 وقعت اول معاهدة بين الصين وروسيا عرفت بمعاهدة (نيرجنسك)، فضلا عن معاهدة (كياكتا) التي وقعت عام 1727 [8] .

المبحث الاول : حرب الافيون الاولى 1839- 1842

اولا : سياسة العزلة وموقف البريطاني منها

اثارت مسالة ازدياد التنافس الاجنبي على الصين وسعي معظم الدول الاجنبية الى اقامة علاقات دبلوماسية وفتح الموانئ للتجارة مخاوف اسرة المينغ الامر الذي دفعها الى اتخاذ سياسية العزلة، واستمرت اسرة المانشو على السياسة نفسها، بل انها اوكلت مهمة الاشراف على التجارة مع الاجانب الى نقابة من التجار الصينيين يكونوا بمثابة وسيطا بين التجار الاوربيين والتجار الصينيين ومنحتهم أمر الاشراف على التجارة وصار هؤلاء يعرفون عند الاوربيين باسم الكوهونغ اي التجار المخولين رسميا وكان عددهم يتراح بين(6- 12) تاجراً، فضلا عن ذلك حددت الحكومة الصينية منذ عام 1757 ميناء كانتون ليكون الميناء الوحيد المفتوح امام التجار الاجانب ولايسمح لهم بالاتجار مع اي ميناء صيني اخر [9] .

لم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان الصينيين عاملوا الاجاتب معاملة قاسية جدا فكانوا تحت رقابة صارمة فلا يسمح لهم بالخروج من حيهم والاختلاط بالاهالي او التنزه الا بصحبة موظف صيني صغير ، كما لم يسمح لهم بجلب نسائهم الى كانتون بل حتى رسائلهم كانت تخضع لرقابة الكوهونغ، ويعود هذا التشدد الى الاخبار التي كانت تصل الى الامبراطور المتعلقة بالجرائم التي كان الاجانب يرتكبونها سواء في القرصنة في البحار او الهجوم على المدن والقرى وان السبب الحقيقي لاقامة العلاقات مع الصين هو للتوسع والعدوان وليس التجارة [10] .

من ناحية اخرى كان لمسالة الاختصاص القضائي اثر في زيادة العداء بين الاجانب والصينيين اذ كانت محاكمة الاجانب تتم وفق القوانيين الصينية التي كانت تتسم بالشدة، ففي عام 1780 نفذ حكم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاعدام ببحار فرنسي لانه ارتكب جريمة قتل دفاعاً عن نفسه، وفي عام 1784 ارغم الصينيون البريطانيون على تسليم بحار بريطاني لاعدامه بسبب قتله امرأتين صينيتين عن طريق الخطا [11] .

وزيادة على ذلك لم تكن الصين بحاجة للبضائع الاجنبية اذ كانت تتبع سياسة الاكتفاء الذاتي، في حين كان الاجانب يعتمدون في تجارتهم على السلع المهمة من الصين كالشاي والحرير والمنسوجات الفاخرة وكانوا يسعون الى فتح ابواب الصين عنوة لاسيما بعد الخسارة التي تكبدوها بسبب امتناع الصينيون عن شراء بضائعهم [12] . ولابد من القول ان شركة الهند الشرقية كانت من اكثر الشركات تضرراً اذ كانت تحتكر كل تجارة الصين وخاصة الشاي لذا اخذ تجارها بالضغط على حكومتهم لفتح ابواب الصين بالقوة واقامة علاقات دبلوماسية بينهما [13] .

وفقا لذلك بذلت بريطانيا محاولات عدة للاتصال بالامبراطور الصيني بشكل مباشر عن طريق البعثات الدبلوماسية، وفي عام 1787 اوفدت أول بعثة الى الصين برئاسة اللورد كاثكارت (Cathcart) الا انه توفي قبل ان يصل وعاد بقية افراد البعثة دون تحقيق الهدف [14] .

في عام 1793 وصلت بعثة دبلوماسية اخرى برئاسة اللورد مكارتني (McCartney) ضمت مجموعة من العسكريين والاطباء وكانت محملة بالهدايا الثمينة وسعى مكارتني الى عقد معاهدة تجارية، لكن الصينيين عاملوا البعثة على انهم تابعين لهم فاجبروا اعضاء البعثة على رفع لافتة كتب عليها باللغة الصينية (السفير الذي يحمل الجزية من بلاد الانجليز) [15] .

على اية حال جاء رد الامبراطور الصيني مخيباً للأمال اذ بعث برسالة الى الملك البريطاني جورج الثالث (1760-1820) رداً على رسالته جاء فيها " **اننا نملك كل شيء ولانملك وزناً للأشياء العجيبة ولسنا بحاجة الى مصوغات بلادكم** " [16]

لم يمنع هذا الامر البريطانيون من مواصلة مساعيهم ففي اب 1816 وصلت بعثة الى بكين برئاسة اللورد أمهرست (Amherst) يحمل المطالب السابقة نفسها، الا ان نتيجتها لم تكن افضل من البعثات التي سبقتها بل ان الامبراطور شيا شنغ (shia shangh) (1796- 1820) امر بطرد المبعوث الى كانتون بعد رفضه تأدية مراسم الكوتو. وهكذا اعلنت بكين رسمياً بأنها سترفض استقبال اية بعثة دبلوماسية انكليزية في المستقبل [17]

ازدادت الامور سوءاً بعد عام 1834 اذ الغت الحكومة البريطانية احتكار شركة الهند الشرقية للتجارة الاسيوية وتم فتح الباب امام جميع التجار البريطانيين للتجارة مع الصين مما سبب مشكلة مع تجار

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الكوهونغ فطلبت السلطات الصينية ارسال مسؤول يشرف على التجارة البريطانية في الصين، فارسل اللورد وليم نابيير(William Napier) في العام نفسه وحال وصوله قدم طلبات حكومته واراد الدخول في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الصينية وليس عن طريق الكوهونغ، تضمنت المطالب البريطانية السماح لهم بالمتاجرة مع مختلف الموانىء وليس الاقتصار على ميناء كانتون فقط، عقد معاهدة تجارية مع الصين تسمح للتجار مزاولة اعمالهم بحرية وعدم خضوعهم للقوانيين الصينية [18] ، الا ان طلبه رفض من قبل الكوهونغ ولم يسمح له باجراء اتصال مع الحكومة، فتوتر الوضع وامر نابيير السفن بالتقدم الى داخل الصين فتصدت له القوات الصينية واجبرته على التراجع والمغادرة الى مكاو ومات بعد اسبوعين[19]

وفي عام 1836 تولى شارلس اليوت (Charles Elliott) المهمة من بعده وقدم مطالب نابيير نفسها، لكن دون جدوى فلم يحصل على رد للمخاطبات التي قدمها الى نائب الامبراطور عن طريق الكوهونغ مما اضطره الى مغادرة كانتون ومثل ذلك فشلا ذريعا للحكومة البريطانية واصبح الامر يتعلق بالكرامة [20] . لذا أصبحت بريطانيا على قناعة تامة بضرورة غزو الصين وكسر عزلتها عن طريق العمل العسكري لاسيما مع التطور الهائل الذي شهدته انذاك من تاسيس امبراطوريتها في الهند وانتصاراتها في اوروبا فاتخذت من اعتراض الصين على تجارة الافيون ذريعة لاعلان الحرب [21] .

على الجانب الاخر كانت الاوضاع الداخلية في الصين مترديه لاسيما في عهد الامبراطور تاوكوانغ (Taoukwang) (1821-1850) اذ كان يفتقر للكفاءة والحزم فضلا عن تردي حالته الصحية، الامر الذي اسهم في انتشار الدسائس والمؤامرات بين امراء المانشو الاعضاء في المجلس الكبير والسكرتارية العظمى وبين رجال ونساء القصر وتدخلهم في الحكم. فضلا عن ذلك كانت الاوضاع الاقتصادية مترديه جدا بسبب فيضانات النهر الاصفر وعدم وجود اهتمام بالسدود والقنوات، وكذلك الضرائب الثقيلة التي فرضت على الشعب فادت هذه العوامل الى ظهور حركة معارضة للمانشو تمثلت بالجمعيات والحركات السرية التي هدفت الى اسقاط النظام [22] .

على اية حال لم يكن الافيون مجهولا لدى الصينيين اذ استخدموه للاغراض الطبية في حدود ضيقة، لكن تعودهم عليه للمتعة يعود الى البرتغاليين الذين جلبوه من الهند بداية القرن الثامن عشر، تجدر الاشارة الى ان البريطانيين كانوا يصدرون الافيون سرا الى الصين فوصلت اول شحنة عام 1781 ونظرا لمنع تجار الكوهونج انتقلت تجارته الى جزيرة صغيرة تسمى لنتن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ليتسلمه التجار الصينيون ويعبئونه بصناديق اصغر ثم يهربونه الى داخل كانتون من خلال الرشاوي [23] .

وهكذا اخذت تجارة الافيون بالتسرب الى داخل الصين وعلى سبيل المثال بلغ مجموع ماتسرب من الافيون خلال السنوات 1820-1839 اكثر من 214 الف صندوق، فضلا عن تفشيه بين معظم فئات المجتمع الصيني ووفقاً للتقرير الذي صدر عام 1835 فان اكثر من مليوني صيني اعتادوا على تعاطي الافيون منهم موظفون كبار في البلاط وملاك الاراضي والصناع والتجار ، بل انه انتشر حتى بين الرهبان والنساء والاطفال [24] .

لم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان الافيون انتشر واستشرى بين جنود وضباط الجيش الصيني مما اضعف قواهم، فضلا عن الاثار الاقتصادية التي استنزفت موارد الصين المالية حتى وصل الانفاق على هذه التجارة الى 100 مليون تايل، في حين ان موارد الخزينة لم تتجاوز 40 مليون تايل مما ادى الى حدوث ازمة مالية اسفرت عن ارتفاع سعر صرف العملة الفضية بالعملة النحاسية، وكان الفلاحون والحرفيين من اكثر المتضررين اذ كان عليهم ان يدفعوا الضرائب بالعملة الفضية في حين انهم كانوا يتقاضون اجورهم بالعملة النحاسية [25] .

حاولت حكومة المانشو مواجهة الامر من خلال اصدار عدد من المراسيم التي فرضت حظر على المتاجرة به او تعاطيه، بل انها فرضت وفق مرسوم عام 1816 جلد ضباط الجيش الذين يتعاطون المخدر كما تم سجن عدد من تجار الافيون، الا ان هذه المراسيم اهملت بسبب الارباح الطائلة التي كان يجنيها التجار البريطانيين والرشاوى التي كان يحصل عليها الموظفين الصينيين لاستمرار هذه التجارة [26]

ازاء ذلك ونتيجة لضغط الرأي العام وخشية الحكومة من الاخطار ظهرت اراء عدة في البلاط الصيني للوقوف بوجه هذه التجارة اذ دعا البعض الى منع هذه التجارة بشكل كلي، في حين دعا البعض الاخر لاسيما المستفيدين منها الى التساهل حتى يمكن احكام السيطرة عليها، اما الراي الاخر فحذر من المنع نظرا للنتائج الوخيمة المترتبة على هذا الاجراء ودعا الى اهمال الموضوع حتى يفقد اهميته، وفي عام 1839 قرر الامبراطور تاو كوانغ تخويل حاكم كانتون لين تسي هسو (Lin Zi Hsu) لايقاف تجارة الافيون [27].

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وقبل اتخاذ اي موقف سعى لين الى عرض المسالة على الحكومة البريطانية معتقداً ان مايجري من تهريب للافيون هو من قبل التجار لذا ارسل برسالة الى الملكة فكتوريا(Victoria) (1819- 1901) جاء فيها " **لقد فكرنا في الامر فتبين لنا ان هذه المادة الضارة يصنعها غدرا مدبرون للشر مكرة تحت سيادة شعبكم الشريف ، ولا مراء عندي انكم وانتم ذوو الرئاسة الشريفة لم تامروا بزراعة هذه المادة وبيعها**"، ثم يضيف قائلا " **ان بريطانيا نفسها لا يسمح للناس فيها بتدخين ذلك المخدر ، فاذا سلمنا انه على مثل هذه الدرجة من الضرر الوبيل ، فكيف تقدمون على الاستفادة بتعريض الغير لتاثيره المؤذي ، وترون ذلك متفقاً مع ما تامر به السموات**". الا ان نداءات لين ذهبت ادراج الرياح اذ كانت الحكومة البريطانية على علم تام بتجارة الافيون، بل انها شجعتها نظرا لما تدره عليهم من ارباح [28] .

وقفا لذلك امر لين في 18 اذار 1839 التجار الاجانب باعداد جرد بما لديهم من افيون مخزن في السفن لاتلافه، كما امرهم بالتوقيع على تعهد بعدم جلب الافيون مرة اخرى، لكن شارلس اليوت اصدر تعليمات للتجار البريطانيين بعدم تنفيذ الاوامر فقام لين بمحاصرتهم لمدة ثلاثة ايام فاضطروا الى تسليم الافيون وقام لين باحراقه امامهم في حفل كبير[29] .

لم يقتصر الامر عند هذا الحد، بل ان لين تسي هسو أمر البحارة الاجانب بتوقيع تعهد عند دخول اي سفينة تجارية للميناء بان لا تحمل افيون وفي خلافه تتم مصادرة الافيون واعدام المسؤول عن ذلك، فضلا عن الاستعدادات العسكرية اذ اشرف بنفسه وبالتعاون مع القائد البحري قوان تيان يي على تدريب القوات الصينية البحرية وزاد من عدد المدافع والتحصينات. كما شكل قوة بحرية اضافية تضم الجنود وعدد من صيادي الاسمالك اطلق عليهم شجعان الماء. في الوقت ذاته كان اليوت يرسل التقارير الى حكومته يحثها فيه على ضرورة القيام بعمل عسكري ضد الصين [30] .

جاءت اللحظة الحاسمة عند قيام بعض البحارة البريطانيين بعصيان في مدينة كانتون أسفر عن مقتل احد الصينيين، فطلب لين من اليوت تسليم الجناة لمحاكمتهم لكنه رفض فقام لين بمنع السفن من توريد المواد الغذائية إلى هونغ كونغ البريطانية وامر الصينييون بمحاصرة السفن البريطانية [31] .

ثانياً: اندلاع الحرب

اتخذت بريطانيا من هذا الحادث ذريعة لاعلان الحرب على الصين فقامت السفن البريطانية باطلاق النار على السفن الصينية في الخامس من ايلول 1839واغرقت عددا منها فبدأ مايعرف ب

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حرب الافيون الاولى، واصدر الامبراطور الصيني اوامره في 26 تشرين الثاني بايقاف كل تجارة مع بريطانيا ابتداءً من العام المقبل واستعدادا للحرب بتقوية الدفاع الساحلي وبناء الحصون وتم تجنيد خمسة الاف متطوع من السكان المحليين [32] .

وفي حزيران عام 1840 وصل بحر الصين الجنوبي اسطول بريطاني بقياده جورج اليوت ( ) حاول اقتحام ميناء كانتون لكنه فشل بسبب التحصينات الكبيرة، فاتجه الى إقليم اموى في مقاطعة فوكين غير ان الهجوم فشل للمرة الثانية, وفي الرابع من تموز هاجم الاسطول البريطاني ميناء تنجهاي بخليج كوشان، وابدت القوات الصينية والسكان مقاومة شديدة لكنهم لم يتمكنوا من صد الهجوم لاسيما مع عدم وجود التحصينات الكافية فسقط الميناء بيد القوات البريطانية [33] .

اثار هذا الامر فزع الامبراطور الصيني فسعى للتفاوض مع البريطانيين وتم عزل لين تسي هسو باعتباره المسؤول عن الحرب، وعين شي شان (Shi Shan) بدلا عنه وبعد وصوله الى كانتون امر بازالة التحصينات وانزال المدفعية من القلاع اظهارا لحسن النية لكن القوات البريطانية استغلت الموقف وبدأت بقصف المواقع الصينية، فاسرع الاخير للتفاوض معهم وتوقيع اتفاقية (شويني) التي نصت على تسليم هونغ كونغ الى البريطانيين، دفع غرامة قدرها 6 مليون دولار من الفضة ، فتح كانتون للتجارة البريطانية[34] .

عد الامبراطور هذه المعاهدة اهانة للحكومة الصينية فقام بعزل شي شان ومحاكمته ومصادرة امواله وعين حفيده يي شان حاكماً على كانتون بمساعدة احد القادة العسكريين وفي 27 كانون الثاني 1841 اعلن الامبراطور الحرب على بريطانيا بصورة رسمية فاستؤنفت الحرب. وعلى الجانب البريطاني تم تعيين هنري بوتنفر (HenryButtenfer) بدلا عن شارلس اليوت في حزيران 1841 ووصلت التعزيزات البريطانية الى الصين ووصل عدد قواتهم الى 12 الف مزودين باحدث الاسلحة وقاموا بغزو ساحل الصين من عدة مناطق واحتلت اموي وتنجهاي وكانتون وشنغهاي وتغلغلت الى داخل البلاد بهدف السيطرة على القناة الكبرى وقطع شريان الملاحة بين الشمال والجنوب [35] .

رافق ذلك اعمال سلب ونهب وحرق للقرى وقتل المدنيين ، الا ان الصينيين دافعوا بشكل بطولي عن مدنهم وانضم لهم عشرات الاف من سكان القرى ، الا ان تخاذل الحكومة والفرق الشاسع في التسليح وعدم تنظيم المقاومة ادى الى هزيمتهم، وعند وصول القوات البريطانية الى تشيكانغ اصبحت

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تهدد نانكنج المدخل الرئيس لبكين قررت حكومة المانشو وضع حد نهائي للقتال بالتسليم دون قيد او شرط [36] .

انتهت الحرب بهزيمة الصين وتوقيع معاهدة نانكنج (Nanking) 29 اب 1842 التي نصت على :

1 -فتح خمسة موانىء للتجارة البريطانية
2 - تسليم جزيرة هونغ كونغ لبريطانيا
3 - دفع غرامة قدرها 6 مليون دولار تعويضا عن الافيون الذي تم احراقه
4 - تخفيض قيمة الضرائب
5 - تمتع بريطانيا بحق الدولة الاولى
6 - الغاء نظام الكوهونغ [37] .

وفي تشرين الثاني 1843 تم التوقيع على ملحق للمعاهدة اختص بالقضايا الجنائية فاصبح للاجانب محكمة خاصة بهم، ولن يخضعوا للقوانيين او المحاكم الصينية مثل السابق [38] .

وهكذا انهت هذه المعاهدة العزلة الصينية التي استمرت لاكثر من قرنين ،كما اثبتت ضعف حكومة المانشو في التصدي للغزو الاجنبي، واشرت الى بداية مرحلة جديدة من الامتيازات الاجنبية اذ سارعت معظم الدول الاجنبية لعقد معاهدات والحصول على امتيازات [39] .

ففي عام 1844 تم توقيع معاهدة (وانغ هيا)[40] (wangh hayaa) الأمريكية – الصينية، وبموجبها حصلت الولايات المتحدة الأمريكية على الامتيازات كلها التي منحت لبريطانيا، فضلاً عن امتيازات أُخرى أوسع نطاقاً، وفي العام نفسه وقعت المعاهدة الفرنسية – الصينية إذ تمكنت فرنسا من فرض معاهدة (وامبوا) (Wambua) على الصين وبموجبها حصلت فرنسا على ما تمتعت به بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن ذلك اصبح للبعثات الكاثوليكية حرية الوعظ والتنصير، كما تقرر عدم خضوع الصينيين لعقوبات قضائية في حال اعتناقهم الديانة المسيحية[41]. كما حصلت كل من بلجيكا والبرتغال والنرويج والسويد على أمتيازات مشابهة للإمتيازات التي حصلت عليها بريطانيا[42] .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المبحث الثاني : حرب الافيون الثانية 1856-1860

تظافرت اسباب عدة ادت الى اندلاع حرب الافيون الثانية منها ماهو مباشر واخر غير مباشر ، بالنسبة للاسباب غير المباشرة تمثلت برغبة الدول الاجنبية بتعديل المعاهدات الموقعة مع الجانب الصيني لانها لم تلب طموحاتها في التوغل الى المناطق الداخلية في الصين ولم تتمكن من اقامة تمثيل دبلوماسي لها في بكين[43] .

لذا قدم ممثلو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية طلباً مشتركا الى نائب الامبراطور عام 1854 تضمن عدد من المطالب اهمها فتح كل المناطق الداخلية في الصين بالاضافة الى جميع المدن الواقعة على الشاطىء للتجارة البريطانية، مشروعية تجارة الافيون، الغاء رسوم الترانسيت الداخلية على البضائع البريطانية، السماح للمبعوثين الاجانب بالاقامة في بكين او على الاقل السماح لهم بالاتصال مباشرة بالمسؤوليين المركزيين في حكومة المانشو، السماح للمثليين الدبلوماسيين الامريكيون للاقامة في بكين، رفع جميع القيود المفروضة على التجارة الامريكية في الصين، الغاء جميع القيود على نشاط الامريكيين [44] .

تجدر الاشارة الى ان الدول الاجنبية استغلت مسألة انشغال حكومة المانشو بالتصدي لثورة (التاينغ) التي اندلعت منذ عام 1850 والتي كانت تهدف االى اقتلاع النظام من الجذور فاستعملت اسلوب التهديد عند تقديمها للمطالب، ومن جانبها كانت حكومة المانشو مضطرة لمهادنتهم ففي عام 1855 دخل ممثلو الدول الثلاث في مفاوضات مباشرة مع بكين لكنها انتهت بالفشل عند ذلك صممت بريطانيا وفرنسا ارغام الصين بالقوة على تنفيذ مطالبها [45] .

جاءت الفرصة المناسبة عام 1856 التي عدت بمثابة السبب المباشر للحرب اذ قامت السلطات الصينية بتفتيش السفينة الصينية (لوركا- ارو) اي السهم التي كانت ترفع العلم البريطاني قرب كانتون وكان على متنها احد القراصنة المطلوبين للسلطات الصينية فتم حجز طاقمها فعدت بريطانيا ذلك اهانة لها وطالبت السلطات الصينية بالافراج عنهم وتقديم اعتذار، لكن اهمال الطلب دفع القوات البحرية البريطانية الى قصف مدينة كانتون والاستيلاء عليها بعد اخذ الموافقة من حكومة لندن فبدأت حرب الافيون الثانية [46] . شاركت فرنسا بريطانيا في حربها ضد الصين بسبب مقتل احد مبشريها ويدعى (شايلدين) بعد ان القي القبض عليه عام 1856 بتهمة انتهاك حرمة القانون فاتخذت فرنسا ذلك ذريعة لاعلان الحرب على الصين [47] .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

لم تكن حالة الصين في هذه الحرب افضل من حالتها في الحرب الاولى ولم يكن هناك تكافؤ بين القوات المتحاربة فقد شاركت 23 سفينة حربية بريطانية و13 سفينة حربية فرنسية وحوالي 6000 من الجنود البريطانيين والفرنسيين وقامت القوات المتحالفة باحتلال كانتون والقاء القبض على حاكمها ونفيه الى الهند، وعندها طالبوا باجراء مفاوضات رسمية مع بكين لعقد معاهدة جديدة واشتركت مهم في هذا الطلب كل من الولايات المتحدة الامريكية وروسيا على الرغم من عد اشتراكهم في الحرب، الاان حكومة الصين رفضت الطلب [48] . فتوجهت القوات المتحالفة شمالا واحتلت حصون تاكو في ايار 1858التي تحمي بكين من الشرق ثم احتلوا تيانجين على بعد ثمانين ميلا من بكين فاضطرت حكومة المانشو الى طلب الصلح [49].

وفقا لذلك تم التوقيع على معاهدات (تيانجين) (Tianjin) عام 1858 مع روسيا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا تضمنت:

1 - منح الدول الغربية امتياز فتح سفارات لها في بكين مع حرية انتقال المبشرين في البلاد.
2 - منحهم امتياز الملاحة في نهر اليانغتسي، فضلاً عن فتح أحد عشر ميناء امام التجارة الأجنبية.
3 - إعفاء الأجانب من الخضوع للقضاء الصيني، وتشكيل محاكم مختلطة للنظر في الخلافات التي تقع بين الطرفين.
4 - تخفيض قيمة الضرائب على البضائع الأجنبية إلى (2.5%).
5 - فرض غرامة حربية على الصين مقدارها (8) ملايين تايل.
6 - إقرار مبدأ التسامح الديني مع المسيحيين [50]

لم ينته الامر عند هذا الحد، بل ان الخلاف وقع بين الطرفين حول مسالة التصديق على المعاهدات وتبادل وثائق ابرامها، ففي الوقت الذي اشترط فيه البريطانيون والفرنسيون ان يكون التصديق بعد عام في بكين ويجب ان يتم على مستوى عال من الممثلين الرسميين، اصر الجانب الصيني على تصديقها في شنغهاي كما تردد الامبراطور في التصديق على المعاهدة لانها تسمح باقامة الاجانب وعوائلهم في بكين خلافا لما جرت عليه السياسة الصينية كما اصر ايضا على مسالة اجراء مراسيم الكوتو [51].

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وعندما حان موعد التصديق على المعاهدات وصل المبعوث الروسي عن طريق البر اما مبعوثو الدول الثلاث الاخرى فوصلوا عن طريق البحر وارادوا ان يصلوا بقواربهم الى بكين عبر نهر بيهو ، الا ان المدينة كانت مهددة من قبل ثوار التاينغ وكان النهر معززا بالتحصينات العسكرية فطلب منهم سلك الطريق البري فاتمثل ممثل الولايات المتحدة الامريكية، في حين رفض ممثلو بريطانيا وفرنسا تنفيذ الامر وحاولا شق طريقهما عبرالنهر بالقوة فاطلق عليهم الصينيون النار واجبروهم على التراجع [52] .

على اثر ذلك تجدد القتال واعادت القوات المشتركة التي بلغ تعدادها 18 الف مقاتل بريطاني وفرنسي مع 41 سفينة حربية و143 ناقلة جنود بريطانية واكثر من 60 سفينة فرنسية احتلال تيانجين في اب 1860 ثم تقدمت نحو بكين واحتلتها في تشرين الاول [53]

لم يجد الامبراطور الصيني امامه من وسيلة غير الهروب مع زوجاته الى جيهول في الشمال تاركا اخاه كوانج (kawanij) يتوى مواجهة الاجانب . خلال ذلك الوقت اقتحمت القوات المشتركة بكين ودمرت الاحياء والمنازل ونهبت المتاجر، ثم قامت بتدمير القصر الامبراطوري الذي كان اية من ايات الجمال وتم نهب كل مقتنياته من كنوز وتحف ورياش[54]

على اية حال انتهت الحرب عام 1860 بالتوقيع على اتفاقيات بكين التي نصت على

1 - منح السفراء الأجانب حق الإقامة في بكين.
2 - ضم جزيرة (كولون) الصينية إلى القاعدة البريطانية في (هونج كونغ).
3 - فتح ميناء تيانتسن أمام التجارة الأجنبية.
4 - إقرار شرعية الإتجار بالعمال الصينيين.
5 - السماح للمبشرين باستئجار او اشراء الاراضي في اي مقاطعة
6 - تاسيس دائرة للشؤون الخارجية عرفت بالادارة العامةللشؤون المتعلقة بالامم الاجنبية [55]

يمكن القول ان هذه المعاهدات غير المتكافئة التي فرضت على الصين شكلت نظام المعاهدات الصادم الذي لم تتحرر الصين منه حتى منتصف القرن العشرين، إذ كانت الوسيلة التي تحولت الصين من خلالها إلى دولة شبه مستعمرة، فإن أقتطاع أجزاء من الصين ومنحها للدول الغربية مهد الطريق أمام التوغل الاستعماري الغربي بشكل اكبر داخل الصين، فضلاً عن إنَّ هذه المعاهدات أثرت بشكل عميق في علاقات الصين مع الغرب، ويمكن أن نعد ان الحرية التي منحت للمبشرين المسيحيين يعني منحها تسامحاً اكبر، ولطالما كانت هذه البعثات التبشيرية مدمرة للارث الثقافي الصيني، فضلاً عن إنَّ منح

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأجانب حرية اكبر للتجارة كان يعني تدمير الإقتصاد الصيني فتردت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وهذا كله شكل بداية لإنحلال حكم أسرة المانشو وضعفها وانهيارها[56].

الهوامش

[1]) شيوي قوانغ، جغرافية الصين، ترجمة محمد ابو جراد ، ط1، بكين، 1987، ص 1

[2]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين الحديث 1516- 1911، ص 26- 28

[3]) منتهى طالب، موجز تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، بغداد، 2010، ص 20

[4]) نوري عبد الحميد العاني واخرون، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، بغداد، 2006، ص 7؛ رافت غنيمي الشيخ واخرون، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، مصر، 2004، ص 17

[5]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ،،، ، ص 53-45

[6]) منتهى طالب، المصدر السابق، ص 14

[7]) ك .م. بانيكار ، اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة احمد خاكي ، القاهرة ، 1962، ص 79-80 ؛ صلاح احمد هريدي ، تاريخ الشرق الاقصى الحديث والمعاصر ، الاسكندرية ، 2011، ص 26-27

[8]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ اسيا ... ، ص 9 ؛ تشسترا بين ، تاريخ الشرق الاقصى موجز تاريخي ، ترجمة حسين الحوت، القاهرة ، 1958، ص 50

[9]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 66

[10]) محمد العزب موسى ، حرب الافيون ، مصر ، 1968، ص 22

[11]) تشسترا بين ، المصدر السابق ، ص 61

[12]) أ. ابشتاين، مولد الصين الشعبية من حرب الافيون الى التحرير، ترجمة حسني تمام ، القاهرة ، 1957، ص5 .

[13]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 68

[14]) ك .م. بانيكار ، المصدر السابق ، ص 80

[15]) محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 35

[16]) هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ماقبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة اشرف محمد كيلاني ، القاهرة، 2002، ص 284

[17]) محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 35- 36 ؛ جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت ، 1997 ، ص 126

[18]) جلال يحيى ، الشرق الاقصى الحديث والمعاصر ، مصر ، 1985، ص 42

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

[19]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين .. . ، ص 70 ؛ ك .م. بانيكار ، المصدر السابق ، ص 129

[20]) جلال يحيى، المصدر السابق ، ص 41

[21]) المصدر نفسه، ص 41- 42؛ ك .م. بانيكار ، المصدر السابق ، ص 130-131

[22]) نوري العاني، تاريخ الصين ... ، ص 71-72

[23]) المصدر نفسه، ص 75

[24]) قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث، حرب الافيون، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين ،1979، ص 17

[25]) نوري عبد الحميد العاني واخرون ، تاريخ اسيا ... ، ص 11

[26]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين .. . ، ص 76

[27]) لين يي ، موجز تاريخ الصين ، 1840-1919، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين 1965، ص 5؛ محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 52

[28]) محمد عودة ، الصين الشعبية ، القاهرة ، 1955، ص 15؛ هيلدا هوخام، المصدر السابق ، ص 286 .

[29]) المصدر نفسه، ص ؛ المصدر نفسه ، ص 287

[30]) قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث، المصدر السابق، ص 29

[31]) منتهى طالب، المصدر السابق، ص 24

[32]) نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين .. . ، ص78

[33]) لين يي ، المصدر السابق، ص 8

[34]) محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 60

[35]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين .. . ، ص79

[36]) محمد العزب موسى المصدر السابق، ص 64 ؛ قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث، المصدر السابق، ص38

[37]) منتهى طالب، المصدر السابق ، ص 18 ؛ ميلاد المقرحي ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر شرق اسيا (الصين ، اليابان ، كوريا) بنغازي ، 1997، ص 40

[38]) جلال يحيى، المصدر السابق، ص 45 ؛ ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص 40

[39]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين .. . ، ص 80؛ رافت غنيمي الشيخ واخرون ، المصدر السابق ، ص19

[40]) للمزيد عن بنود هذه المعاهدة ينظر قسم تاليف كتب تاريخ الصين الحديث ، المصدر السابق ص 93- 94.

[41]) جلال يحيى، المصدر السابق ، ص46- 47

[42]) منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 18

[43]) نوري عبد الحميد العاني واخرون ، تاريخ اسيا ... ، ص 13

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

[44]) محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص 109؛ عفاف مسعد العبد ، دراسات في تاريخ الشرق الاقصى ، الاسكندرية ، د.ت ، ص 55

[45]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ... ، ص 83

[46]) عفاف مسعد العبد، المصدر السابق ، ص 56 ؛ أ. ابشتاين ، المصدر السابق ، ص 25

[47]) فوزي درويش ، الشرق الاقصى الصين واليابان (1853- 1972) ، د.م، 1997، ص 57

[48]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ...، ص 83

[49]) محمد عل القوزي وحسان حلاق ، تارسخ الشرق الاقصى الحديث والمعاصر ، بيروت ، 2001، ص 91

[50]) منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 20 ؛ ميلاد المقرحي ، المصدر السابق ، ص 43

[51]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ...، ص 84

[52]) جواهر لال نهرو، المصدر السابق ، ص131

[53]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين ...، ص 85

[54]) عفاف مسعد العبد ، المصدر السابق ، ص 58

[55]) نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ اسيا ...، ص 14

[56]) منتهى طالب ، المصدر السابق ، ص 19

المصادر

1 -ابشتاين ، مولد الصين الشعبية من حرب الافيون الى التحرير ، ترجمة حسني تمام ، القاهرة، 1957.

2 -تشسترا بين ، تاريخ الشرق الاقصى موجز تاريخي ، ترجمة حسين الحوت ، القاهرة، 1958 .

3 -جلال يحيى ، الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، مصر، 1985 .

4 -جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت، 1997 .

5 - رافت غنيمي الشيخ واخرون ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر، مصر ، 2004.

6 -شيوي قوانغ ، جغرافية الصين ، ترجمة محمد ابو جراد ، ط1 ، بكين، 1987.

7 -صلاح احمد هريدي ، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، الإسكندرية، 2011

8 -عفاف مسعد العبد ، دراسات في تاريخ الشرق الأقصى ، الإسكندرية، د.ت

9 -فوزي درويش ، الشرق الأقصى الصين واليابان (1853- 1972) ، د.م، 1997.

10 قسم تأليف كتب تاريخ الصين الحديث، حرب الافيون، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين،1979.

11 ك .م. بانيكار ، اسيا والسيطرة الغربية ، عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة احمد خاكي ، القاهرة ،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

12 لين بي ، موجز تاريخ الصين ، 1840-1919، دار النشر باللغات الأجنبية،بكين 1965
13 محمد العزب موسى ، حرب الأفيون ، مصر ، 1968
14 محمد عل القوزي وحسان حلاق ، تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر ، بيروت ، 2001
15 محمد عودة ، الصين الشعبية ، القاهرة ، 1955،
16 منتهى طالب ، موجز تاريخ اسيا ، بغداد ، 2010
17 ميلاد المقرحي ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر شرق اسيا (الصين ، اليابان ، كوريا) بنغازي، 1997
18 نوري عبد الحميد العاني ، تاريخ الصين الحديث 1516- 1911،بغداد،2003
19 نوري عبد الحميد العاني واخرون ، تاريخ اسيا الحديث والمعاصر ، بغداد ، 2006.
20 -هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ماقبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة اشرف محمد كيلاني، القاهرة 2002،